التعريف بالوصفية في الدرس اللساني العربي الحديث

راشد عبد الله المنصور * أ.د. صلاح كزّارة **

(الإيداع: 19 كانون الثاني 2020 ، القبول: 25 حزيران 2020)

الملخّص :

يسعى البحث إلى إضاءة جانبٍ من جوانب التلقي النظري للوصفية الغربية في الدرس اللساني العربي الحديث، وذلك بالوقوف على جزئيةٍ واحدة، هي تعريفُ مؤسسي الوصفية العربية النظريُّ بمنهجهم الذي اجتلبوه من الغرب، وطبّقوه على اللغة العربية. وسيكون ذلك المسعى بعرض تعريفات الوصفية في بعض المعجمات الغربية، ثم الوقوف على نظيراتها في المعجمات اللسانية العربية، بغيةَ بيان المسافة الفارقة بينهما في توضيح مفاهيم الوصفية. سيعرض صنيع مؤسسي الوصفية العربية في تعريفهم النظري، مقارناً ومتتبّعاً ومقوّماً، لما لذلك الجزء النظري من أهميةٍ في تأسيس النظريات العلمية، ولأثره في التطبيق العملي.

الكلمات المفتاحية: التعريف، الوصفية، اللسانيات، التلقي، العربي، المعجم، المصطلح، مؤسّسون.

*معيد في: قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة حماة / موفد إلى جامعة حلب لتحضير درجة الدّكتوراه / شعبة الدّراسات اللغويّة.
** من كلية الآداب/ جامعة حلب

Definition of the Descriptivism in the Modern Arabic Linguistic Study

Rashed Abdullah Almansour* **Prof.Dr. Salah Kazzarah****

(Received: 19 January 2020 , Accepted: 25 June 2020)

Abstract:

The research seeks to highlight an aspect of the theoretical receiving of the Western Descriptivism in the modern Arabic linguistic studies by standing on one part. This part is the theoretical definition of the founders of the Arabic Descriptivism with their method that they brought from the West and applied to the Arabic language. This will be the objective to present Descriptivism definitions in some Western lexicons and then to identify their counterparts in Arabic linguistic lexicons in order to explain the difference between them in clarifying Descriptivism concepts. The research will also move to display the work of the founders of Arabic Descriptivism in their theoretical definitions through comparison, tracing, and evaluation because of the importance of these definitions in establishing scientific theories and in affecting the practical application.

Key words: Definition, Descriptivism, Linguistics, Receiving, Arabic, Lexicon, Term, Founders.

1. الوصفية في المعجمات اللسانية الغربية:

يشرح (اللسانياتِ الوصفية) أحدُ المعجمات في مدخل (الوصف Description) بالقول: "غايةُ اللسانيات الوصفية وصفُ الحقائق اللغوية كما هي عليه، لا كما يجب أن تكون، مع الإشارة إلى بعض الحالات المثالية المفترضة. وتركيزها على زمانٍ ومكان معيَّنَين يجعلها تقابل اللسانيات التاريخية التي تُعنى بتوضيح التغير اللغوي. وتهدف اللسانيات الوصفية إلى وصف اللغة تزامنياً، في زمنٍ محدد (ليس الزمن الحاضر بالضرورة، إذ يمكن للمرء أن يصف الأنماط اللغوية لأي فترة). كما أن الاهتمام بلغةٍ محدّدة يميّز موضوع البحث من اللسانيات المقارنة، كما يوحي اسمها، ومن اللسانيات العامة أيضاً، التي تسعى إلى تكوين البيانات النظرية عن اللغة عموماً. يجب ألا ننسى، طبعاً، أن هناك ترابطاً بين فروع الموضوع المختلفة هذه، فالوصف هو نتيجةٌ للتحليل، الذي يجب أن يقوم أيضاً على جملة من الافتراضات النظرية، بيد أن النظرية في اللسانيات الوصفية لا تعدو أن تكون وسيلةً لإدراك غاية، هي إنتاج **القواعد الوصفية** للغة (أو أحد أقسامها الفرعية، كالصوتيات، والمعجم، والنحو، والصرف). فالمنهج الذي يتميز باهتمامه المقصور على الوصف غالباً، وفقاً للمعنى المبيَّن أعلاه، يُعرَف بـ(**الوصفية**)، كما يُعرف أنصارها بـ(**الوصفيين**)"[1].

ويرد التعريف عرَضاً في معجم آخر ضمن مدخل (اللسانيات التاريخية)، فنجد تحت فقرة: (القرن العشرون والعصر الحديث): "يمكن عدُّ الدراسة التعاقبية [Diachronic Study] للغة قريبةً من مقارنة لغة واحدة أو أكثر في مراحل مختلفة من تاريخها. وتكوّن الدراسات التزامنية [Synchronic Studies] الأساسَ لتحقيقات تاريخية، كأن تكون تحليلاً للغة أو لجزء منها في الفترة (أ)، ليُتَمكَّن من مقارنتها بـ**الدراسة الوصفية** في الفترة (ب). فالتحقيق مثلاً في اللغة الإنكليزية زمن (تشوسر[2])، وآخر في الإنكليزية الحديثة يُظهِران جملة من الفروق. ومن هذا القبيل تكشف الدراسة الوصفية للاتينية وإحدى اللهجات الفرنسية الحديثة الأنظمةَ المتباينة من النواحي الصوتية والنحوصرفية"[3].

و ترِد (الوصفية) أيضاً في معجم ثالث صفةً للسانيات عموماً: "**اللسانيات الوصفية** Descriptive Linguistics هي فرع من اللسانيات يركز على الدرس التزامني، خلافاً للوصف التاريخي للغة. وغالباً يقابل اللسانيات المعيارية والنظرية"[4].

كما تأتي (الوصفية) صفةً للنحو: "**النحو الوصفي** Descriptive Grammar : 1- وصف حقائق اللغة وصفاً منهجياً كاملاً موضوعياً، اعتماداً على استعمال متحدثيها الأصليين، في نقطة محددة من الزمن ودون تقديم قواعد تبيّن كيفية استعمال اللغة المثالي المُفتَرض. وهذا المنهج يباين النحوَ المعياري. 2- النحو الذي يستعمل مفاهيم محددةً بدقة في تحليل ووصف مجموعة من المعطيات من دون وضع التحليل في نموذج شكلي مثل بعض أنواع النحو التوليدي"[5].

---

1 - Crystal, David: A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Sixth edition published, 2008, by Blackwell Publishing Ltd.p.139.

2 – (جيفري تشوسر 1340-1400م): شاعر ودبلوماسي إنكليزي، لُقِّب بأبي الشعر الإنكليزي. من أعماله: (كتاب الدوقة)، و(منزل الشهرة)، و(برلمان الطيور)، و(حكايات كنتربري). ينظر: تاريخ الآداب الأوربية (الجزء الأول: من الأصول حتى نهاية القرون الوسطى)، مجموعة من المؤلفين، تر: صياح الجهيم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط2، 2013، ص318-326.

3 Malmkjær, Kirsten: The Routledge Linguistics Encyclopedia, Third edition, 2010, Simultaneously published in the USA and Canada.p.229-230.

4- Brown, Keith and Jim Miller: The Cambridge Dictionary of Linguistics, , First published 2013, Published in the United States of America by Cambridge University Press, New York. P.130.

5 – Brown, Keith and Jim Miller: The Cambridge Dictionary of Linguistics, , First published 2013, Published in the United States of America by Cambridge University Press, New York. P.129.

ويمكن أن يخلص البحث من هذه التعريفات إلى أن (الوصفية) ترادف التزامنية أو الآنية ترادفاً تاماً لدى بعض الباحثين، أو جزئياً عند من يجعلها إجراءً مرحلياً ضرورياً يُتَوسَّل به في الدرس التزامني، وأن قسماً آخر يجعلها مقابلةً للمعيارية خصوصاً، أو للسانيات النظرية عموماً. وتعدُّدُ دلالات المصطلح الواحد فيما يُفتَرض أنها مصادر الدرس اللساني من أهم مسوغات مراجعة هذا المفهوم من خلال العودة إلى أصوله ودواعي نشأته. ذلك أن التتبع الإجرائي للوصفية عند روادها لا يتفق تماماً وما ذكرته هذه المعجمات الغربية في تحديد مفهومها.

1. الوصفية في المعجمات اللسانية العربية:

ترد (**الوصفية**) في بعض المعجمات ترجمةً للمصطلح الأجنبي (**Descriptivism**)[1]، دالةً على منهج لساني معين (من دون شرح)، كما ترد في بعضها الآخر مقابِلة لـ(**descriptive**) مراداً بها "دراسة اللغة في مرحلة من مراحل تطورها"[2]. كما ترد (**descriptive**) في معجم آخر صفةً بأحوال ثلاثة: (1–مطلقة=وصفي، 2– مقيّدة بالنحو أو 3– بعلم اللغة= **descriptive grammar**، **descriptive linguistics**)[3]. وترد أحياناً صفةً للمنهج: "منهج التحليل الوصفي **Descriptive analysis (synchronic)**" ويُعَرَّف بأنه "يتناول بالدراسة لغةً واحدة أو لهجة واحدة، في زمان ومكان معيّنين [...و] يهتم المنهج الوصفي بدراسة اللغة بتحديد المستوى اللغوي المدروس، ولا يخلط بين المستويات اللغوية، كما يتناول المستوى اللغوي الواحد بالدراسة الشاملة أو الجزئية لأحد جوانبه الصوتية أو الصرفية أو النحوية أو الدلالية. يسهم المنهج الوصفي في إعداد معاجم تمثل مستويات لغوية معينة، مثل معجم ألفاظ الحديث الشريف، ومعجم اللهجة العامية المصرية وغير ذلك من المعاجم".[4] كما يعرض معجم آخر مشتقات الوصف بمعانٍ أخر؛ فا**لوصف Description** " [1] تمثيل بنيوي للجمل، وللصرفيات المكونة للجمل وللصوتيات المكونة للصرفيات، ولطرق ائتلافها. [2] في النحو التوليدي، الوصف البنيوي للجملة يمدنا بالمعلومات الأساسية التي تحدد التحويلات وأخيراً التأويل الدلالي والتأويل الصوتي للجملة"[5]. وا**لوصفي Descriptive** "[1] صفة للنحو الذي يدرس الجمل المنجزة والظواهر المرتبطة بها. ويختلف عن النحو التوليدي في كون هذا الأخير الذي يولد كل جمل اللغة ويصف البنيات العميقة، بينما يكتفي النحو الوصفي بوصف البنيات السطحية. [2] صفة النظرية اللسانية التي لا تصدر القواعد أي أنها ليست معيارية"[6]. وا**لكفاية الوصفية Descriptive adequacy**

---

1 – ينظر: المسدي، عبدالسلام: قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، ليبيا–تونس، 1984، ص168، و الفهري، عبد القادر الفاسي: معجم المصطلحات اللسانية، دار الكتاب الجديد، طرابلس–ليبيا، ط1، 2009. ص76

2 – مبارك، مبارك: معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995. ص78 وأورد المؤلف بقية المشتقات بمعانٍ مختلفة، فنجد: "**وصفي descriptive** صفة للقواعد التي تعتمد الوصف في تقعيد اللغة بالمقابل مع القواعد المعيارية. و **وصف تركيبي أو بنيوي structural description** في القواعد التوليدية، يقدم الوصف البنيوي للجملة المعلومات اللازمة التي تحدد التحولات والتفسير الصوتي والدلالي للجملة. كذلك هو وصف التركيب النحوي الذي سيكون مدخلاً ينطبق عليه قانون تحويلي، ويدعى هذا تحليل التركيب. و **واصف، وصفي descriptivist** تطلق هذه التسمية أحياناً على النظرية التوزيعية التي تهدف فقط إلى استقراء القواعد من المادة اللغوية التي إذا طبقت يمكن أن تعم جميع المقولات في هذه المادة اللغوية".

3 – ينظر: مجموعة مؤلفين: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1983، ص66، 101، 108.

4– حنا، عياد وحسام الدين، كريم زكي وجريس، نجيب: معجم مصطلحات اللسانيات، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997، ص35. ويُعيد المصنِّفُون ذلك المنهج –في سياق شرح نشأته– إلى (سوسير) تحديداً، كما يجعلونه مرادفاً للتزامني synchronic.

5 – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 2002، ص43. والصرفيات جمع صرفيّة، وتقابل في المعجم نفسه المورفيم. ينظر: المرجع السابق، ص95.

6 – المرجع السابق، ص43.

"النحو الكافي من الناحية الوصفية هو النحو القادر على توليد ووصف كل الجمل الموجودة في لغة خاصة"[1]. أما **اللسانيات الوصفية descriptive linguistics** فهي "دراسة علمية للغة قوامها الوصف الناتج عن التجريب للخلوص إلى نظرية ما"[2].

والملاحظ على حديث المعجمات العربية المتخصصة عن الوصفية ما يأتي:

1- اكتفت بعض المعجمات بترجمة ما يتصل بالوصفية وإيجاد مقابلات لها؛ فأوردت: الوصفية (مذهباً أو منهجاً عاماً)، الوصفي (صفةً للنحو أو اللسانيات، ولعل النحو في هذا السياق يعني التحليل اللساني الشامل لمستويات اللغة).

2- اكتفى أحد المعجمات الشارحة بتقديم الوصفية مرادفةً للتزامنية؛ وفي ذلك اختزال لمفهوم واسع يشمل جزئيات كثيرة بإحدى تلك الجزئيات وإن تكن من أهمها.

3- ثمة تناقضٌ في جعل الوصفية مقابلةً للمعيارية؛ إذ فرّق "معجم المصطلحات الألسنية" بين قواعد وصفية تعتمد الوصف في تقعيد اللغة وأخرى معيارية، في حين وُصِفت النظرية اللسانية الوصفية في "المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات" بأنها لا تصدِر القواعد أي أنها ليست معيارية!

4- لعله يُفهم من بعض التعريفات المذكورة (النحو الوصفي) أن (الوصف) خطوةٌ أو مرحلةٌ أولى هي (دراسة البنيات السطحية)، ولا تكتمل إلا بمرحلةٍ ثانية هي (دراسة البنيات العميقة)، وقد عبّر معجم آخر عن هذه الفكرة أو ما يقاربها في مدخل (الوصف التركيبي أو البنيوي).

كما تشابه هذان المعجمان (الموحّد، ومعجم المصطلحات الألسنية) في تعريف (اللسانيات الوصفية) بالعلمية وسعيها إلى وضع النظرية اللسانية، غير أن أحدهما قدمها في مدخل (واصف أو وصفي) وجعلها تسميةً للنظرية التوزيعية، في حين عمّم الآخر تحت مدخل (اللسانيات الوصفية) وجعل السبيل إلى ذلك الهدف هو التجريب، ومعلوم أن المدرسة التوزيعية وأسسها التجريبية صدرتا من مشكاة واحدة.

2. التعريف بالوصفية لدى جيل مؤسسي الوصفية العربية:

"إن معظم متاعب القراء في عالمنا العربي آتيةٌ من أن الكتّاب غالباً ما يستعملون اصطلاحات غير شائعة، ويفرضون أن القراء على علم بدلالتها. ولو أن الكاتب كلّف نفسه مشقّة وضعه هذه الاصطلاحات في قائمة في مبدأ الكتاب، وأمام كل منها شرح لما يقصد به...، لأمكن أن يكون القارئ العربي أسعد بالقراءة مما هو الآن"[3].

لعل ما ذكره شيخ الوصفيين العرب (تمام حسان) في هذا المقبوس يشي بوعيٍ جيّد بضرورة إيضاح المصطلحات الجديدة في تقديم العلوم الحديثة، لاسيما إذا كانت غربية، فهل كان تمثّل الوصفيين العملي على قَدْر حُسن تمثّلهم النظري؟

لا ريب أن ثمة صعوبةً جمةً في استقصاء المناهج اللغوية الحديثة وتقديمها بصورةٍ علمية دقيقة[4]، لكن تلك المهمة على صعوبتها واجبٌ علمي على الباحثين في علومٍ في طور التأسيس، تقتضي منهم التعريف بسياقات النشأة وتفرعاتها ومدارسها وما إلى ذلك، ولا تقف عند مجرّد التعريف ببعض الرموز الصوتية أو المصطلحات الجديدة[5]. ويترتب على قصور التعريف

7- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص43.

2 – المرجع السابق، الصفحة نفسها.

3 – هذا الكلام في سياق حديث حسان عن شروط المصطلح الفني. حسان، تمام: اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000، ص156.

4 – بشر، كمال: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة، 2005، ص215.

5 – تنظر بدايةُ كتاب مناهج البحث في اللغة. حسان، تمام: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1955، ص7-15.

خلقٌ في التلقي[1] والتوظيف؛ من ذلك مثلاً أن علم اللغة الوصفي أصبح "سائداً عند أكثر المشتغلين ببحث اللغة في العالم، حتى إن البعض[2] يتحدث عن علم اللغة الحديث ويعني علم اللغة الوصفي، وكأنه هو المنهج الحديث الوحيد في علم اللغة"[3]. وذلك ما يمكن تبيُّنه عند أعلام الوصفيين العرب.

- **الوصفية عند (علي عبد الواحد وافي)**

يمكن النظر إلى (علي عبد الواحد وافي) على أنه من الممهدين للوصفية العربية، ذلك أنه لم يتبنَّها منهجاً في كتابه (علم اللغة)، وإنما حمل على عاتقه مهمة التعريف بعلم اللغة أو اللسانيات الغربية معتمداً في ذلك على مصادره الفرنسية ذات الاتجاه التاريخي في الغالب. ويمكن تلمس بعض المبادئ الوصفية مما يرى فيه البحث رؤيةً ضبابيةً غير واضحة لدى المؤلف، ولعل ذلك طبيعي ومُتَفَهَّم في اجتهاد عالمٍ غير مختص في تقديم علمٍ كان في طور النشأة والنمو. ومما يؤيد ذلك الحكمَ أن أغراض علم اللغة –وفقاً لـ(وافي)– وصفية تحليلية، ولا تكتفي بالوصف وإنما تهدف إلى كشف القوانين[4]. كما فرّق (وافي) –في سياق ذكرِ نَسَب (علم اللغة)– تفريقاً غريباً بين العلوم والفنون؛ إذ جعل الأولى (وصفيةً) والثانية (معياريةً)، والفيصل في ذلك الحُكْم هو (وجود الغايات العملية للبحث من عدمه)، فالفيزيولوجيا مثلاً علم وصفيٌ، في حين أن الطب فنٌّ معياري! كما أضاف إلى هذا التصنيف فرعاً ثالثاً سماه البحوث المعيارية[5]. ويوضح (وافي) معنى علمية (علم اللغة) بأن بحوثه "ترمي من وراء دراستها للظواهر اللغوية إلى أغراض **وصفية تحليلية** ترجع إلى الوقوف على حقيقتها والعناصر التي تتألف منها، والوظائف التي تؤديها، والعلاقات التي تربطها بعضها ببعض والتي تربطها بما عداها، وأساليب تطورها، والقوانين التي تخضع لها في مختلف نواحيها، وبالجملة **تدرس الظواهرَ اللغوية لشرح ما هو كائن لا لبيان ما ينبغي أن يكون**"[6]. وواضح من هذا الشرح أن معنى العلمية عنده يرادف معنى التحليل البنيوي (دون التصريح بالبنيوية)، كما يجعل البحث وصفياً مناقضاً للمعيارية. ولعل هذه المقابلة أولى المقابلات العربية التي ستصبح مقولة راسخةً في أغلب مصنفات الوصفيين اللاحقين.

- **الوصفية عند (إبراهيم أنيس)**

يتفهّم الباحث ما اتصف به جهد (وافي) –في تعريفه بالوصفية– بوصفه ممهداً للدرس اللساني عموماً، غير أنه ينتظر ممن حملوا راية الوصفية عائدين من الغرب أن يتسم عملهم بأبسط أوليات المنهج العلمي، فهل تحقق لهم ذلك؟

لعله من اللافت أن (إبراهيم أنيس) أول المبتَعثين العائدين لم يقدّم تعريفاً نظرياً صريحاً لما اعتنقه من منهجه الوصفي، وإنما عمَد إلى التطبيق مباشرةً باثّاً بعض المبادئ الوصفية في كتبه، مما حمل (حلمي خليل) على استخلاص أو استنتاج أهم المبادئ الوصفية –مما لم ينسبه (أنيس) تصريحاً إلى الوصفية– في كتابه "الأصوات اللغوية"، فرأى أنها: 1–الوصف العلمي التجريبي للأصوات اللغوية. 2– بعض القوانين الصوتية مثل المماثلة والمخالفة وقانون الجهد الأقل أو نظرية السهولة. 3– العادات الكلامية وأثرها في تعلم اللغات"[7]. كما حكم (عبد المقصود عبد المقصود) بأن تصوّر أنيس كان واضحاً في عرض

---

1 – يُقصد بالتلقي استقبال الفكر اللساني الغربي وتقديم أسسه ومقولاته للدارسين العرب.

2 – كذا في المصدر، والصواب: بعضهم.

3 – حجازي، محمود فهمي: مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، د.ط.ت، ص22.

4 – وافي، علي عبد الواحد: علم اللغة، نهضة مصر، القاهرة، ط9، 2004، ص16–17.

5 – ينظر: المرجع السابق، ص25.

6 – المرجع السابق، ص27–28.

7 – خليل، حلمي: العربية وعلم اللغة البنيوي، ص151–152. وينظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1975.

الوصفية[1] بناءً على بعض الأفكار المبثوثة في أثناء كتابه "في اللهجات العربية"، التي ذكرها (حلمي خليل)، منها[2]: عرضه المبتسر لـ(الدراسة الوصفية)[3] في مقدمة كتابه، وتفريقه بين (التزامنية والتعاقبية)[4] في سياق درس الترادف، وانطلاقه من فكرة الخصائص المميزة Distinctive Features المعزوَّة إلى حلقة براغ للتفريق بين مصطلح اللهجة Dialect واللغة Language.[5]

ولعل كتب (أنيس) المؤسِّسة –في بداية حياته العلمية– كـ"الأصوات اللغوية" (بين 1941–1946) أو "في اللهجات العربية" (1950) كان يُفترَض فيها تخصيص جزءٍ يفي بتوضيح المنهج العلمي المتّبع فيها، وذلك ما يعدّه بعض المؤلفين من المسؤولياتِ العلمية تجاه الدارسين، المترتبةِ على طَرْق موضوعاتٍ علمية جديدة، ويتحمل في سبيلها مكابدةَ تبِعاتها المرهقة، ذلك إضافةً إلى حساسية موضوع اللهجات وما هو معلوم مما سيلقاه من الرفض أو الاستهجان في درسنا اللغوي العربي. فلا يماري البحث في تمام وضوح الدراسة الوصفية في ذهن (أنيس)[6]، غير أن ذلك الوضوح لا يعفيه من واجب التوضيح النظري المقصود[7]. وذلك الحكم ينطبق على معظم مؤلفاته، إذ "لم يشغل د. أنيس نفسه كثيراً بتقديم أصول ومبادئ هذا الفكر اللغوي الجديد[8]، وإنما مضى يطبقه على اللغة العربية تطبيقاً مباشراً، معتمداً عليه في نقد بعض آراء القدماء، وكذا تحليل الظواهر اللغوية المختلفة والتعليل لها"[9].

- **الوصفية عند (عبد الرحمن أيوب)**

ولم يختلف (عبد الرحمن أيوب) عن زميله (إبراهيم أنيس)؛ ذلك أنه هجم على النحو العربي، منتقداً إياه، هجوماً حاداً، ربما أنساه واجبَ التعريف النظري، "مكتفياً بإشاراتٍ سريعة للمبادئ والأصول التي يستند إليها في هذا النقد والتي تتلخص عنده في إحلال منهج مدرسة التحليل الشكلي School of formal analysis، محل التحليل الجزئي والمنطقي للغة"[10]. مما حمل (حلمي خليل) أيضاً على استنتاج معنى التفكير اللغوي العلمي عنده، فوجده يقوم على قاعدتين هما: الموضوعية

---

1 – ينظر: دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2006، ص64–65.

2 – يعرض (حلمي خليل) الكتاب ويستقصي ماورد فيه من أفكار وصفية. ينظر: العربية وعلم اللغة البنيوي، ص152–156.

3 – "ودراستنا لها [أي للهجات الحديثة] يجب أن تبدأ وصفية، نشرحها ونسجلها ونحلل أصواتها وكلماتها، دون التعرض في البدء إلى أي نوع من المقارنات، أو الحكم على أية صلة بلهجة قديمة، فإذا فرغنا من الدراسة الوصفية التحليلية لكل لهجة من اللهجات الحديثة نكون قد خدمنا [كذا] أغراضاً جليلة: منها تسجيل لهجاتنا التي تكون مرحلة تاريخية من حياتنا الاجتماعية،...". أنيس، إبراهيم: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، 2003، ص12 (من مقدمة الطبعة الأولى)

4 – والملاحظ أنه استعمل المصطلحين الأجنبيين فشرحهما ولم يترجمهما: "ينظرون إليها [أي المترادفات] في عهد خاص وزمن معين، وتلك النظرة التي يعبرون عنها بكلمة Synchronic، لا تلك النظرة التاريخية التي تتّبع الكلمات المستعملة في عصور مختلفة، ثم تتخذ منها مترادفات، وهذه النظرة الأخيرة هي التي يسمونها Diachronic". المرجع السابق، ص155.

5 – ينظر: المرجع السابق، ص15.

6 – ينظر: دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، ص64–65.

7 – يذكر (حلمي خليل) أن كتاب "في اللهجات العربية" "كان يتجه منذ صفحاته الأولى إلى التطبيق دون التنظير، وهو عبءٌ آخر سيقع على كاهل تلاميذه من بعده". خليل، حلمي: العربية وعلم اللغة البنيوي، ص157.

8 – كذا في المصدر، والصواب: بتقديم أصول هذا الفكر ومبادئه.

9– المرجع السابق، ص147.

10 – خليل، حلمي: العربية وعلم اللغة البنيوي، ص169. وينظر: أيوب، عبد الرحمن: دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح، الكويت، ص هـ–و.

والوصفية[1]. ثم يستنتج بعد ذلك مفهوم الوصفية من مثال يضربه أيوب يفرّق فيه بين مذهبين "أحدهما يبدأ بالجزء وينتهي منه إلى الكل، كما يفعل البنّاء حين يضع حجراً فوق حجر حتى ينتهي إلى بناء كامل، وثانيهما ينظر إلى البناء الكامل ويتبينه حجراً حجراً، دون أن يزيح أحداً من الأحجار عن موضعه من البناء"[2]. كما يستنتج انتماء أيوب إلى (المدرسة الشكلية الأمريكية) حين ذكر في الهامش كتاب (زيليج هاريس) Methods in Structural Linguistics (مناهج اللسانيات البنيوية) وأحال عليه القراء، مصرّحاً بقوله: "لسنا في حاجة هنا إلى شرح الطريقة اللغوية التحليلية"[3]!

- **الوصفية عند (تمام حسان)**

ولعل شيخ الوصفيين العرب (تمام حسان) لم يخرج عن سنّة زملائه، غير أنه يمكن القول إنه اختلف عنهم في كمّ المعلومات التي قدّمها في التنظير؛ ذلك أن كتابه "اللغة بين المعيارية والوصفية" (1958) قدّم شيئاً من التعريف بالوصفية، وضمّ عدداً من مقولات الوصفية ومرتكزاتها، وذلك بغض الطرف عن أنه حشر الوصفية في زاويةٍ ضيقة جعلها تضادُّ المعيارية وتناقضها. أما كتاباه "مناهج البحث في اللغة" (1955)، ثم "اللغة العربية معناها ومبناها" (1973) فطبّق فيهما منهج التحليل الوصفي البنيوي تطبيقاً عملياً خالصاً، والفارق بين الكتابَين بتصريحه هو نضج فكره، مما أقدَرَه على التطبيق: "هذا البحث نتاج زمن طويل من إعمال الفكرة ومحاولة إخراجها في صورة مقبولة، فأول عهدي بفكرة هذا البحث ما كان من ورودها على الخاطر سنة 1955 عند ظهور كتابي (مناهج البحث في اللغة) فقد جاء ذلك الكتاب في حينه ليقدم إلى القارئ العربي ما اصطنعه الغربيون من منهج وصفي، وليعرض هذا المنهج عرضاً مفصلاً..."[4].

ويجد الباحث نفسه مضطراً لاستخلاص ما ذكره (حسان) من عبارات متناثرة تفيد في تعريف الوصفية نظرياً؛ ومما قدمه في ذلك حكمُه بأن الدراسات الوصفية هي خير الدراسات وأقدمها في العالم، وتعود إلى الهنود القدماء: "وإذا كان كل نشاط اجتماعي تتم دراسته عن طريق الملاحظة والوصف، فلا شك أن اللغة، وهي نشاط اجتماعي، يجب أن تدرس كذلك بالملاحظة والوصف، إذا أريد لدراستها أن تكون جدية منتجة. ولعل أقدم فروع الدراسات اللغوية في العالم هي الدراسات الوصفية، بل هي كذلك خير ما أنتجه أئمة اللغة في العالم القديم. وأوضح مثال على ذلك ما قام به الهنود القدماء في دراسة اللغة السنسكريتية"[5]. كما يرى (حسان) أن "اللغة...موضوعٌ من موضوعات الوصف كالتشريح، لا مجموعة من القواعد كالقانون"[6]، وهذا التشبيه يذكّر الباحثَ بتفريق (وافي) الغريب بين العلوم والفنون، المقصود منه مقابلة الوصفية للمعيارية. ويؤكد ذلك بقوله: "وإن الدراسة الوصفية لتختار مرحلةً بعينها، من لغة بعينها، لتصفها وصفاً استقرائياً، وتتخذ النواحي المشتركة بين المفردات الداخلة في هذا الاستقراء وتسميها قواعد. فالقاعدة في الدراسة الوصفية ليست معياراً، وإنما هي جهة اشتراك بين حالات الاستعمال الفعلية"[7]. فثمة فرق برأيه بين موقف (الباحث) من اللغة وموقف (المتكلم) منها؛ "فإذا كان هدف المتكلم هو صحة الاستعمال، فإن هدف الباحث هو الوصف عن طريق المنهج الصالح، والاستعمال الصحيح يجري حسب المعايير، ولكن المنهج الصالح لا بد أن يعترف بطبيعة اللغة، باعتبارها[8] ظاهرة اجتماعية...ولا بد لها والحالة هذه أن تُدرس على نحو

---

1 – خليل، حلمي: العربية وعلم اللغة البنيوي، ص169.

2 – دراسات نقدية في النحو العربي، ص2–3. وينظر: خليل، حلمي: العربية وعلم اللغة البنيوي، ص170–171.

3 – دراسات نقدية في النحو العربي، ص3. وينظر: خليل، حلمي: العربية وعلم اللغة البنيوي، ص171.

4 – حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1994، ص10.

5 – حسان، تمام: اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000، ص23.

6 – المرجع السابق، ص24.

7 – المرجع السابق، الصفحة نفسها.

8 - كذا في المصدر، والصواب: بوصفها.

ما تدرس الظواهر الاجتماعية: بالملاحظة، والاستقراء، ثم التقعيد"[1]. ولعل مَكمن المشكلة –وفقاً لما يعرضه (حسان)– هو جرّ البحث اللغوي صوبَ العمل التعليمي؛ وذلك ما يظهر في إلحاحه على معالجة قضية (التقعيد)، فـ"النحو الوصفي لا يشغل نفسه بأمور التربية، ولا بأن يسنّ القواعد لمعلم اللغة، لأنه حيث توجد السليقة لا توجد الأخطاء"[2]، كما أنه لا يَعبأ بصفة الاطراد التام التي يحرص عليها النحاة المعياريون، و"هو[أي الاطراد الدائم] الصخرة التي يسقط منها الباحثون إلى قرار هوة المعيارية"[3].

- **الوصفية عند (محمود السعران)**

ويبدو أن (محمود السعران) في كتابه "علم اللغة؛ مقدمة للقارئ العربي" (1962م) استدرك ما فات زملاءَه الوصفيين، ويتجلى إدراكُه تلك المشكلةَ من اختياره عنوان كتابه، فيقول مصرّحاً بذلك "ولكن تعريفنا بالنشاط اللغوي العلمي في أحدث صوره لا يزال تعريفاً هيناً غامض القسمات، ينتظر الجهود الجادة المتلاحقة من الأفراد والهيئات. وهذا الكتاب في (علم اللغة) محاولةٌ أقدمها في هذا السبيل؛ وهو كتاب يحدد أسلوبَ عرضه للموضوعات، ومنهجَ تناوله للمسائل، أنه (مقدمة للقارئ العربي)"[4]. كما حرص (السعران) أن يكون المنهج الذي اتبعه في تعريفه بالمنهج الغربي سليماً وافياً بالغرض، ولاسيما في مراعاة أمن اللبس في عرض المصطلحات الأجنبية: "وكان أول ما راعيته تحقيقاً لهذه الغاية إثبات المصطلح الإنجليزي بحرفه، وانتقاء اللفظ العربي المقابل له بحيث لا يوقع في الخطأ أو الاختلاط؛ فنأيت عن اختيار المصطلح اللغوي العربي القديم ترجمةً لبعض المصطلح الإنجليزي –كما صنع جماعة– وآثرت، حيث لا أجد المقابل العربي الملائم، أن أستعمل المصطلح الأوروبي الحديث، وكي ينفسح المجال ويسلم أمام الباحث العربي حين يؤرخ الدراسات اللغوية العربية ويقومها على أساس من الفهم الحديث، فيصطنع المصطلح العربي بمعناه إلى جوار المصطلح الجديد المنقول بمرماه جنباً إلى جنب دون إيقاعٍ للقارئ في البلبلة، ودون إيهامه بغير المراد"[5]. وفيما يتعلق بتعريفه بالمنهج الوصفي لا يجد الباحث قسماً خاصاً معنوناً بهذا العنوان، غير أنه عَرَّف به في حديثه عن المنهجين التاريخي والمقارن؛ فالمنهج الوصفي –وفقاً للسعران– أساس المنهجين التاريخي والمقارن، وعليه يقومان[6]، وعرّف الدراسة الوصفية بأنها تختص "بفترة محدودة من تاريخ لغة من اللغات مستعملة في مكان محدود. فنحن مثلاً لا نستطيع أن ندرس اللغة العربية في تاريخها الطويل دفعةً واحدة، لأنها لم تكن في تاريخها الطويل (شيئاً واحداً) ثابتاً ينتقل من جيل إلى جيل دون تغير بأي صورة من صور التغير، وفي أي جانب من جوانب اللغة"[7]. وتبرز في

---

1 – حسان، تمام: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص22.

2 – المرجع السابق، ص31.

3 – المرجع السابق، ص100. وهذا الكلام في سياق حديث (حسان) عن استنتاج القوانين الصوتية للغات السامية، ونعتها بأنها كانت نتيجة استقراء أفضى إلى "عبارات يوصف بها هذا الاطراد لا أكثر ولا أقل".

4 – السعران، محمود: علم اللغة؛ مقدمة للقارئ العربي، منشورات جامعة حلب (تصويراً)، 2000–2001، ص5. وقد صدرت الطبعة الأولى من كتاب (علم اللغة؛ مقدمة للقارئ العربي) عن منشأة المعارف بالإسكندرية عام 1962، وأصدر ورثة (السعران) طبعةً جديدةً (مصورة) عن دار الفكر العربي بالقاهرة، قدّم لها تلميذه (حلمي خليل). كما أصدرت دار النهضة العربية ببيروت طبعةً مصوّرةً عن الأولى دون تاريخ.

5 – المرجع السابق، ص6–7. وينظر الثبت الاصطلاحي في نهاية الكتاب ص351–380، ومن مواده : (Descriptive وصفي)، (Descriptive Grammar النحو الوصفي)، (Descriptive Linguistics الدراسة اللغوية الوصفية)، (Descriptive Method المنهج الوصفي). وقد عبّر لاحقو السعران عن إعجابهم بحسن صنيعه من هذه الناحية، ينظر: بشر، كمال: دراسات في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1971. (القسم الأول)، ص37. كما عدّوه "أول من اعتنى بوضع قوائم الاصطلاحات اللغوية منذ عام (1958م)". قدور، أحمد: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، ص18. وعام (1958) هو تاريخ صدور كتاب (اللغة والمجتمع) عن جامعة بنغازي، ثم أعادت نشره دار المعارف بمصر.

6 – ينظر: السعران، محمود: علم اللغة؛ مقدمة للقارئ العربي، ص241.

7 – السعران، محمود: علم اللغة؛ مقدمة للقارئ العربي، ص241–242. وينظر أيضاً: ص243.

هذا التعريف الثنائية السوسيرية (التزامنية/التعاقبية) وما يترتب عليها من وحدة الزمان والمكان. ومما يلفت النظر في صنيع (السعران) –على ما اتسم به من الوضوح والموضوعية– قوله بعدم التزامه مذهباً معيناً في أثناء تعريفه، وركونه إلى ما سماه الأصول المتفق عليها[1]، غير أنه من المعلوم أن (السعران) من المبشرين بالوصفية، وأن جملةَ ما جاء في كتابه مسترفَد من مراجع الوصفية، ومن أولها كتب أستاذه (فيرث). على أن الملاحَظ أن (السعران) لم يكن بنيوياً وصفياً متزمّتاً، إذ فطِن إلى أن المسائل المنحّاة عن علم اللغة الحديث مؤقتة[2]، ولم يجزم بقطع نَسَبها عن الدرس اللغوي العلمي[3].

- **الوصفية عند (كمال بشر)**

يمكن القول: إن الوصفية العربية عادت إلى جادّة الصواب من ناحية المنهج، وذلك لما يُفترض في أصحابها من نُضج فكري ومنهجي بعد مرور عقدين على بدايتها، وكان (السعران) علامةً فارقةً تمثل بداية ذلك النضج بحياده عن سنّة سلفه الوصفيين، ونهجه سنةً أدنى إلى المنهجية العلمية أفاد منها لاحقوه. ولعل ذلك واضح بجلاءٍ عند (كمال بشر) في كتابه "التفكير اللغوي بين القديم والجديد"، إذ يخصص القسم الأول للحديث عن علم اللغة في الغرب، ومدارسه، وفروعه، ومناهجه[4].

وفي تعريفه بالمنهج الوصفي يبدو على وفاقٍ مع ما ذكره (السعران) من كون المنهج الوصفي أساساً للمنهجين التاريخي والمقارن، ويزيد عليه أن "المنهج الوصفي يمكن القيام به وحده دون الالتجاء إلى أي من المنهجين الآخرين، بل على العكس من ذلك فإن خلط المنهج الوصفي بغيره من المناهج يؤدي حتماً إلى الاضطراب والتعقيد"[5]. ويذهب (بشر) إلى أبعد من ذلك، فيعمّم ذلك الحكم حين يجعل المنهج التقابلي "وصفياً في الأساس"[6]، فيغدو المنهج الوصفي بذلك أساس المناهج كلها. ولكن بات معلوماً أن المنهج الوصفي منهجٌ قام على أسس ومرتكزات أحدثت قطيعةً معرفيةً مع المناهج السابقة، لأن "اللسانيات الوصفية في الثقافة الغربية تأسست على أنقاض النحو التقليدي وعلى رفض المنهج المقارن والمنهج التاريخي لتصبح منذ بداية القرن العشرين نموذجاً للمقاربة العلمية في دراسة اللغة واللغات"[7]، فهل يصح القول إن المنهج التاريخي أساسه الوصف، أو أن المنهج التقابلي وصفيٌّ أساساً؟ ولعل المقصود من كلام (بشر) أو (السعران) هو الإجراءات الوصفية التي تقوم عليها الدراسة اللغوية، كالاستقراء والملاحظة وغيرها، أو أنها دراسة اللغة في نقطة زمنية محددة، أي مفهوم (التزامنية) الذي شُهِر عن (سوسير) من ثنائيته (التزامنية/التعاقبية). ولعل ما يؤيد هذا الرأي شرحُ (بشر) المنهج الوصفي Descriptive بأنه "يختص بدراسة اللغة المعينة في فترة محدودة من الزمن وفي بيئة لغوية محددة"[8]، ثم يستطرد في شرح كيفية تلك الدراسة بالأمثلة، ويقرّر أن المنهج الوصفي يشترك أصحابُه بالاعتراف بأساسين مهمين هما: "وحدة الفترة الزمنية منضافاً إلى ذلك وجوب قَصْر الدراسة على لغة معينة"[9]. كما تصبح (الوصفية) في سياق آخر هي (السنكرونية) فحسب، ويعدّها أول أسس نظرية (سوسير) الأربعة في الدرس اللغوي، مفرّقاً –كما يرى– بين وصفية (سوسير) وبنيويته. وهذه الأسس

---

1 – المرجع السابق، ص7.

2 – كالحديث عن التصنيفات العامة للغات، والبحث في نشأة اللغة، وغيرها.

3 – ينظر: السعران، محمود: علم اللغة؛ مقدمة للقارئ العربي، ص347.

4 – ينظر الفهرس: بشر، كمال: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة، 2005، ص19.

5 – المرجع السابق، ص220.

6 – المرجع السابق، ص237.

7 – غلفان، مصطفى: اللسانيات العربية؛ أسئلة المنهج، دار ورد، عمّان، ط1، 2013، ص15.

8 - بشر، كمال: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص223.

9 – بشر، كمال: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص225.

هي: " اللغة لا الكلام هي موضوع الدراسة، واللغة في نظره (شكل) أو نظام، ومنهج تحليل هذا النظام هو المنهج (السنكروني) (الواصف الآني)"، والأساس الرابع هو فكرة الرمز اللغوي بجانبيه الدال والمدلول، وقيمته اللغوية[1].

وإذا ما راجع البحث مبادئ وصفية (سوسير)، إضافةً إلى المدارس الأخرى، يتضح له اختزالُ (بشر) –ومن قبله (السعران)– المنهجَ الوصفي في مبدأ واحد أو اثنين –على أهميتهما– وإهمالُ مبادئ أخرى ليست أقلّ خطراً منها، وبها تكون الوصفية منهجاً بالمفهوم الإبستمولوجي. فالوصفية –من حيث هي إجراءٌ (كالملاحظة والتصنيف)– قديمةٌ قِدَم الدرس اللغوي، ولا يفتأ الوصفيون كـ(بشر) و(حسان) من قبله، وغيرهما يعيدونها إلى الهنود القدماء[2]، في حين أنها من حيث هي علم له أطره الإبستمولوجية وجهازه المفاهيمي محدَّدةٌ بـ(سوسير) ومن جاء بعده. وقد جهد مؤرخو اللسانيات بعد مضي زمنٍ طويل على تلقي أفكار (سوسير) في تأكيد نقاط كانت ملتبسةً فيما قبل، منها أن التزامن والتعاقب عنده ليسا منهجين، وإنما إجراءان عامان يتحدد من خلالهما اختيار مناهج معينة[3]. ويميل البحث إلى أن (الوصفية)، في المصطلح اللساني العربي، باتت علَماً على الأسس التي قامت عليها نظرية (سوسير)، ويجد من الأنسب ألا تسمى بـ(البنيوية)، لاسيما أن البنيوية –كما ذكر الوصفيون أنفسهم– تمثّل تياراً عاماً تعدى الدرس اللغوي إلى غيره من المجالات، ويصعب تحديد نشأته وملامحه[4].

ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً أن (بشراً) لم يحترز مما نبّه زميلُه (السعران) عليه سابقاً من ضرورة التلقي الصحيح للوصفية، إذ قال: "يجب التفريق بين استعمال دي سوسير ومن يدينون بنظريته لهذه المصطلحات وبين استعمال سواهم لها في غير ما يريده دي سوسير"[5]، لأن (بشر) سوّى بين (القيمة اللغوية) و(المعنى) في سياق حديثه عن العلاقات الأفقية والرأسية في نظرية (سوسير)، إذ قال: "والقيمة اللغوية عند دي سوسير، أي المعنى، إنما تحدده وتعينه مجموعة هذه العلاقات، ولا يمكن فهمه أو الوصول إليه إلا في ضوء هذه العلاقات"[6]، والعبارة الأصلية في كتاب (سوسير) هي: "فالسياق إذن يتركب دائماً من وحدتين متتاليتين فأكثر... والكلمة إذا وقعت في سياقٍ ما لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها أو لكليهما معاً"[7]. وبدهيٌّ أن القيمة اللغوية لا ترادف المعنى عند (سوسير)، ذلك أنه عدّها عنصراً من عناصر الدلالة Signification، لا مرادفةً لها. يقول (سوسير): "إن أول ما يتبادر إلى أذهاننا عادةً عندما نذكر قيمة الكلمة هو بالذات تمثيلها لفكرة ما. ولنا في هذه الميزة بالفعل مظهر من مظاهر القيمة اللغوية. لكن إن كان الأمر كذلك فما الفرق بين هذه القيمة وبين ما نسميه بالدلالة Signification؟ وهل هاتان الكلمتان مترادفتان؟ نحن لا نعتقد ذلك رغم سهولة الخلط بينهما، لا سيما أن هذا الخلط ليس ناتجاً عن تشابه الكلمتين بقدر ما هو ناتج عن لطيف التمييز الذي تدلان عليه. فالقيمة إذا اعتبرناها[8] من حيث مظهرها المتصوري هي ولا شك عنصر من عناصر الدلالة"[9]. ولما كانت الدلالة معبّرةً عن العلاقة

---

1 – المرجع السابق، ص242.

2 – ينظر: المرجع السابق، ص224.

3– بارتشت، بريجيته: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ص98.

4 – وردت الوصفية عند أحد الباحثين مرحلةً أولى من مراحل ثلاثٍ لدراسة بنية اللغة (هي الوصفية والتحليلية والتفسيرية)، غير أنه لم يقصد بها التزامنية، وإنما قصد بها الاستقراء: "فقد يقف بها [أي البنية] عند حد البنية الوصفية حيث يكون محور عمله استقراءً محضاً يقرّب المتآلفات ويقابل بين المتنافرات ويجمع بين المحاصيل من هذه وتلك". المسدي، عبد السلام: قضية البنيوية؛ دراسة ونماذج، دار أمية، تونس، ط1، 1991، ص20.

5 – السعران، محمود: علم اللغة؛ مقدمة للقارئ العربي، حاشية (1) ص301.

6 – بشر، كمال: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص244.

7– سوسير، فرديناند دي: دروس في الألسنية العامة، تر: محمد الشاوش وزميله، ص 186.

8 – كذا في المصدر، والصواب: عددناها.

9 – سوسير، فرديناند دي: دروس في الألسنية العامة، تر: محمد الشاوش وزميله، ص175.

الرابطة بين الدال والمدلول، ومحكومةً في الوقت نفسه بالعلاقة مع العلامات اللغوية الأخرى، بوصف اللغة "نظاماً متضامن العناصر"، كانت "قيمة أي عنصر منها لا تنجرّ إلا عن تواجد العناصر الأخرى"[1]. فالقيم كلها تتكون دائماً من "1- شيء مخالف يمكن إبداله مقابل الشيء الذي نريد تحديد قيمته. 2- من أشياء متماثلة يمكن مقارنتها بالشيء الذي نحن بصدد النظر في تحديد قيمته. وهذان العاملان ضروريان لوجود قيمة من القيم"[2]. ويوضح (سوسير) ذلك بمثال القطعة النقدية التي يقتضي تحديدُ قيمتها أمرين: إمكانيةَ إعطائها مقابل كمية معينة من شيء آخر مختلف، وإمكانية مقارنتها بقيمة مماثلة لها في النظام نفسه، أو نظام نقدي آخر[3].

والذي يُحسَب لـ(بشر)، في تلقيه للوصفية الغربية، تصوّرُه الواقعي والشامل لحقيقتها، إذ أقرّ بتشعبها إلى مدارس كثيرة، وعبّر عن ذلك بقوله: "هناك بنويّون، لا منهج (بنوي) أو مدرسة (بنوية) واحدة. وإذا قلنا بوحدة المنهج أو المدرسة فإنما نعني بذلك الإطار العام الذي يجمع شتات هذه الاتجاهات والأفكار تحت مظلة واحدة، على ضرب من التعميم، وتمييزاً لها جميعاً من تلك المناهج والمدارس الأخرى التي تناظرها، وتقع منها موقعاً مستقلاً بذاته"[4]. وقد عبّر باحثٌ آخر عن فهمٍ مماثلٍ مستعملاً تشبيهاً معبّراً: "وبالطبع، لا يمكن أن يخامرني أي طموح في إمكان استيعاب البنيوية في بضع صفحات، أشبّه ذلك أن التفكير البنيوي أشبَهُ بأرخبيل أو مجمع من الجزر [...] تتداخل فيه اليابسة والسائلة تداخلاً شديداً، ويبدو من خلال نظرةٍ عاليةٍ بالطيارة على درجة مقبولة من التجانس، ولكن عند الاقتراب من المنظر يفسح هذا التجانس المجال لنتوءات كثيرة وأشكال من التضارب والتباين"[5].

- **الوصفية عند (محمود فهمي حجازي)**

وبتتبع مراجع الوصفية العربية يلاحظ البحث أن ذلك الاختزال المذكور غدا سنّةً أو تقليداً آخر درج عليه أصحابها، ذلك أن علم اللغة الوصفي Descriptive Linguistics عند (محمود فهمي حجازي) "يتناول بالدراسة العلمية لغةً واحدة أو لهجة واحدة في زمن بعينه ومكان بعينه. ومعنى هذا أن علم اللغة الوصفي يبحث المستوى اللغوي الواحد من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية"[6]. وما يؤكد اختزال (حجازي) الوصفية بالتزامنية أنه يصرّح بترادفهما في سياق حديثه عن (سوسير): "وقد أطلق دي سوسير على علم اللغة الوصفي linguistique synchronique"[7]. غير أن (حجازي) يذكر أمثلة توضّح مجالات الدراسة في علم اللغة الوصفي، "فدراسة أبنية الأفعال في لهجة الكويت، أو النظام الصوتي في لهجة عمان، أو جملة الاستفهام في النثر العربي في القرن الرابع الهجري موضوعات تدخل في إطار علم اللغة الوصفي، وأية دراسة صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية لإحدى اللهجات القديمة أو الوسيطة أو الحديثة تعد دراسة وصفية [...]"[8].

1- المرجع السابق، ص176.

2- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

3 – ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

4 – بشر، كمال: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص240.

5 – الخطيب، حسام: البنيوية والنقد العربي القديم، [بحث في] مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ع181-182-183، 1986، ص10.

6 – حجازي، محمود فهمي: علم اللغة العربية؛ مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1972، ص37. وينظر التعريف نفسه في : حجازي، محمود فهمي: مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، د.ط.ت، ص21.

7 – علم اللغة العربية؛ مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، ص38، وينظر أيضاً بحثه : أصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الإثنولوجية،[بحث في] مجلة عالم الفكر، الكويت، مج3، ع1، 1972، ص160.

8 – حجازي، محمود فهمي: علم اللغة العربية؛ مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، ص39، وتنظر الموضوعات نفسها أو ما يقاربها في: حجازي، محمود فهمي: مدخل إلى علم اللغة، ص22.

- **الوصفية عند (عبده الراجحي) و(عبد الصبور شاهين)**

ولا تكاد تخرج بقية تعريفات مؤسسي الوصفية العربية عن تعريف (بشر) أو (حجازي)؛ فعلم اللغة الوصفي عند (عبده الراجحي) "يدرس لغة معينة في فترة معينة وكما هي مستعملة في مكان معين"[1]. كما يقتصر المنهج الوصفي عند (عبد الصبور شاهين) "على عرض الاستعمال اللغوي لدى مجموعة معينة من الناس، في زمن ومكان معينين"[2].

- **الوصفية عند (إبراهيم السامرائي)**

لعله بات واضحاً أن أغلب رواد الوصفية العربية ومؤسسيها يركنون إلى أمرين اثنين في تعريف الوصفية، هما: مرادفة التزامنية، أو مقابلة المعيارية. ولم يخرج (إبراهيم السامرائي) على هذا الاتفاق، إذ جعل الدراسة الوصفية ترادف التزامنية، غير أنه أَولى عامل المكان أهميةً أكثر من سابقيه، كما جعل (الجغرافية اللغوية) النوع الثاني من نوعي تلك الدراسة : "والدراسة الوصفية نوعان: نوع يُعنى بدراسة جميع الحقائق اللغوية للغة واحدة في مكان معين، ونوع يُعنى بدراسة حقيقة لغوية واحدة في مختلف أنحاء الوطن اللغوي، وهذا ما ندعوه بالجغرافية اللغوية"[3]. ومعلوم أن الجغرافية اللغوية حازت القسم الأخير من كتاب (سوسير)، وذلك دليل اهتمام بها، غير أن فهم (السامرائي) لها وتعبيره عنها بأنها (دراسة حقيقة لغوية واحدة في مختلف أنحاء الوطن اللغوي) قد يناقض أهم أصول المنهج الوصفي وهو وحدة المكان.

- **الخاتمة والنتائج**

1) تعكس تعريفات (الوصفية) في المعجمات التي وقف عليها البحث اختلافاً وتعدداً في أفهام الباحثين العرب يصل إلى حد التناقض؛ فهي ترادِفُ التزامنية، أو تناقِضُ المعيارية، أو خطوةٌ أولى يُعتَمد عليها في درس البنيات العميقة في النحو التوليدي، كما جعلها بعضهم تسميةً للنظرية التوزيعية. ولا يبدو ذلك مُستَنكراً، إذ بَدَت تعريفات المعجمات الغربية متباينةً أيضاً، ولعل ذلك ما يعكس تشعّبَ الوصفية الغربية إلى وصفياتٍ لكلٍّ منها منطلقاتها وغاياتها.
2) مرّ تعريف مؤسسي الوصفية العربية بمنهجهم الجديد بمرحلتين؛ اتّسمت أولاهما بإغفال أصحابها مرجعياتِهم العلمية المعتمدة كلياً أو جزئياً، مما أدى إلى غياب التقديم النظري للوصفية عن مصنفاتهم، أو وجوده مبثوثاً متفرقاً في أثناء تلك المصنفات. وتمثل تلك المرحلةَ مؤلفاتُ كلٍّ من (علي عبد الواحد وافي، وإبراهيم أنيس، وعبد الرحمن أيوب، وتمام حسان). أما المرحلة الثانية فبدأت مع (محمود السعران) الذي أَولى أمرَ التعريف بالوصفية أهميةً، فأصبح له في مؤلفات من تبعه جزءٌ ثابت، عند كلٍّ من (كمال بشر، ومحمود فهمي حجازي، وعبده الراجحي، وعبد الصبور شاهين، وغيرهم). كما ركّز معظم هؤلاء المؤسِّسين، في المرحلتين، في تعريفهم بالوصفية، بجعلها مرادفةً للتزامنية، أو مناقضةً للمعيارية، وفي ذلك اجتزاءٌ مخلٌّ لحقيقة المنهج الوصفي.

1 –الراجحي، عبده: فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1972، ص21.

2 –شاهين، عبد الصبور: في التطور اللغوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985، ص11.

3 –السامرائي، إبراهيم: مباحث لغوية، مطبعة الآداب، النجف، 1971، ص94–95.

- **المصادر والمراجع**

1. أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1975.
2. أنيس، إبراهيم: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، 2003.
3. أيوب، عبد الرحمن: دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح، الكويت، د.ط.ت
4. بارتشت، بريجيته: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، تر: سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2004.
5. بشر، كمال: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة، 2005.
6. حجازي، محمود فهمي: أصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الإثنولوجية، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج3، ع1، 1972.
7. حجازي، محمود فهمي: علم اللغة العربية؛ مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1972.
8. حجازي، محمود فهمي: مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، د.ط.ت
9. حسان، تمام: اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000.
10. حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1994.
11. حسان، تمام: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1955.
12. حنا، عياد وحسام الدين، كريم زكي وجريس، نجيب: معجم مصطلحات اللسانيات، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997.
13. الخطيب، حسام: البنيوية والنقد العربي القديم، [بحث في] مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ع181-182-183، 1986.
14. خليل، حلمي: العربية وعلم اللغة البنيوي؛ دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996.
15. الراجحي، عبده: فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1972.
16. السامرائي، إبراهيم: مباحث لغوية، مطبعة الآداب، النجف، 1971.
17. السعران، محمود: علم اللغة؛ مقدمة للقارئ العربي، منشورات جامعة حلب (تصوير)، 2000-2001.
18. سوسير، فرديناند دي: دروس في الألسنية العامة، تر: محمد الشاوش ومحمد عجينة بإشراف صالح القرمادي ، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985.
19. شاهين، عبد الصبور: في التطور اللغوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985.
20. عبد المقصود، عبد المقصود: دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2006.
21. غلفان، مصطفى: اللسانيات العربية؛ أسئلة المنهج، دار ورد، عمّان، ط1، 2013.
22. الفهري، عبد القادر الفاسي: معجم المصطلحات اللسانية، دار الكتاب الجديد، طرابلس-ليبيا، ط1، 2009.
23. مبارك، مبارك: معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995.
24. مجموعة مؤلفين: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1983.
25. مجموعة من المؤلفين: تاريخ الآداب الأوربية (الجزء الأول: من الأصول حتى نهاية القرون الوسطى)، تر: صياح الجهيم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ط2، 2013.

26. المسدي، عبدالسلام: قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، 1984.
27. المسدي، عبد السلام: قضية البنيوية؛ دراسة ونماذج، دار أمية، تونس، ط1، 1991.
28. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 2002.
29. وافي، علي عبد الواحد: علم اللغة، نهضة مصر، القاهرة، ط9، 2004.
30. Brown, Keith and Jim Miller: The Cambridge Dictionary of Linguistics, First published 2013, Published in the United States of America by Cambridge University Press, New York.
31. Crystal, David: A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Sixth edition published, 2008, by Blackwell Publishing Ltd.
32. Malmkjær, Kirsten: The Routledge Linguistics Encyclopedia, Third edition, 2010, Simultaneously published in the USA and Canada.